حول فتنة الصراع الطائفي بالعراق وموقف الاسلام من تبعاته

د. إدريس الكتاني*

■ يعلن علماء ومثقفو نادي الفكر الاسلامي ـ بعميق الألم ـ تنديدهم الشديد بالعدوان الخطير على ضريح الامامين علي الهادي والحسن العسكري بسامراء، وهو العدوان الذي اجمع علماء المسلمين سنة وشيعة، في المشرق والمغرب، على أنه من تدبير وتخطيط خبراء وعملاء أمريكا وإسرائيل، لإشعال نار الفتنة بين المسلمين خاصة في العراق، وإطالة أمد الاحتلال الامريكي للشقيقتين العراق وأفغانستان، وطمأنة إسرائيل على وجودها في فلسطين.

لكن هذه الإدانة لا تكفي، وعلى منظمات علماء المسلين وأحزابهم السياسية الواعية أن يحبطوا كل هذه المؤامرات، ويشرحوا للرأي العام العربي والإسلامي والدولي موقف «الاسلام الحضاري» من «صراع الحضارات» الذي أعلنه قادة أمريكا على الاسلام بعد 2001/9/11 لتبرير احتلالهم لأفغانستان، ثم العراق، الذي أوقف حلم زحفهم على أقطار العالم الاسلامي.

وبصفتي عضو المجلس الأعلى لرابطة علماء المغرب سابقا، والامين العام لنادي الفكر الاسلامي بالرباط، وعضو الجمعية العمومية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية في طهران، وهو المجمع الذي يسعى لتحقيق أهدافه كثير من علماء السنة فضلا عن علماء الشيعة منذ عشرات السنين حتى لا يقع المسلمون ضحية الفتن الطائفية التي يعيش العراق اليوم أخطارها، فإنني أرى من واجبي أن اشرح الموقف الاسلامي من وجهة نظرنا على الأقل فيما يلي:

أولا: إبداء القلق الشديد من موقف السيد علي السيستاني

في رسالة جوابية لسماحة الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية العلامة الدكتور محمد علي التسخيري بتاريخ (22 شعبان1425/ 7تشرين الاول/أكتوبر 2004) قلت فيها: «ما أدهشني.. أن علماء الشيعة في العراق وخاصة السيد علي السيستاني ـ باستثناء الزعيم السيد مقتدى الصدر ـ أعلنوا تأييدهم المطلق للانتخابات التي قررها الرئيس بوش وأنصار أمريكا في مجلس الحكم في العراق، على أساس «النظام الفيدرالي والتعددية الطائفية والعرقية» مع العلم بأن «مبدأ التقريب بين المذاهب الاسلامي» يقوم على أساس اتفاق هذه المذاهب، خاصة الشيعة والسنة، على أن العدو إذا احتل أرضا إسلامية فالواجب على جميع سكانها مقاومته بكل ما يستطيعون من أسلحة، فإن عجزوا وجب على جيرانهم نجدتهم، ثم على ما يليهم، إلى أن يصبح قتالهم واجبا على جميع المسلمين.

وهناك إجماع على أن العالم الاسلامي ـ فلسطين وأفغانستان والعراق في الطليعة ـ يواجه حربا عالمية من الحلفاء الثلاثة: إسرائيل وأمريكا وبريطانيا ـ فضلا عن كل حلفاء أمريكا المشاركين في هذه الحرب ـ فهل يدرك السيد السيستاني أن احتلال أمريكا للعراق ليس إلا أحدى هذه الحروب التي تورطت فيها أمريكا وبريطانيا بخلقهما لإسرائيل، وتحملهما مسؤولية الدفاع عن أمنها، باعتراف القائد العام لحرب الخليج الثانية سنة 1991، الجنرال شوارسكوف في تصريح لإذاعة إسرائيل: «لقد قمنا بهذه الحرب نيابة عن إسرائيل ومن أجل إسرائيل».

وهكذا يبدو أن اعتماد السيد السيستاني على الانتخابات كأولوية مذهبية سياسية، تفوق أولوية المقاومة ضد الاحتلال الامريكي للعراق، يعتبر موقفا غريبا لم يتجاوز فقط «مبدأ التقريب بين المذاهب الاسلامية» بل ذهب ابعد من ذلك، بإلغائه ما أجمعت عليه هذه المذاهب نفسها، وهو وجوب مقاومة العدو، الشيء الذي ترتب عنه دعم وانتشار الفكر الطائفي والعرقي، وردود فعلهما القوية لدى المقاومة، والرأي الاسلامي المؤمن بوحدة الامة الاسلامية.

ثانيا: «الاسلام الحضاري» أول من أعلن مبدأ المساواة الكاملة بين البشر

لا أحد يستطيع أن ينكر أن (الاسلام الحضاري) هو من أعلن في تاريخ الحضارة الانسانية، مبدأ (المساواة الكاملة) بين جميع البشر بقطع النظر عن اختلاف ألوانهم وأعراقهم وأديانهم ولغاتهم، هذا الاعلان جاء على لسان خاتم الانبياء والمرسلين في (خطبة الوداع) قبل أربعة عشر قرنا، وهذا الخطاب لم يكن موجها للمسلمين فقط بل لعموم البشر، قال عليه الصلاة السلام «أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي فضل على عجمي إلا بالتقوى»، وقد طبق الاسلام هذا المبدأ في الامة الاسلامية، وجاء الركن الخامس من أركان الاسلام «الحج» ليشهد العالم كله، وخلال جميع العصور، نموذج هذه (المساواة الكاملة) بين مئات القوميات والاعراق والالوان واللغات والثقافات، بل وحتى الطبقات الاجتماعية، المتواجدة على ظهر الأرض، من الرؤساء والملوك حتى عامة الناس، لهم نفس الحقوق الانسانية، وعليهم نفس الواجبات، هل تملك الحضارات البشرية القديمة والمعاصرة، وقوانينها الدستورية والاجتماعية القائمة اليوم في الدول الغربية، مثل هذه المساواة؟

هذه «المساواة الكاملة في الحقوق الانسانية» تتعارض مع العصبيات: العرقية والقومية والطائفية، فضلا عن تفضيل المصالح الخاصة للدول والجماعات، على مصالح الآخرين. وهذا ما جعل الرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام يقول:

«ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية» وسأله أحد الصحابة، أمن العصبية أن يحب الرجل قومه؟ فقال: «لا، ولكن من العصبية أن يعين قومه على الظلم» فهل عرفت البشرية سموا أخلاقيا وإنسانيا عالميا في سلوكها مع الآخرين كهذا السمو؟

ثالثا: الاسلام دين عبادة وحضارة ودولة

الاسلام ليس مجرد «دين عبادة» كما هو مفهوم الدين المسيحي أو اليهودي، في الحضارة الغربية اللادينية، وكما فهمه أيضا الملايين من العرب والمسلمين، تلاميذ هذه الحضارة في مدارسها وجامعاتها وإعلامها الثقافي.

بل هو أيضا «دين حضارة ودولة» يملك كل مؤسسات الحضارة والدولة / العلمية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية والفنية، التي كانت ـ ولا زالت ـ تمثل الأصول والجذور التي انطلقت منها كل المعارف العلمية للحضارة الغربية، وهذا ما لا تملكه ولا تدعيه الديانة المسيحية أو اليهودية، وهذه الحقيقة التي تغيب ـ مع الاسف ـ عن أغلب علماء الدين السنة والشيعة، تجعلهم يسقطون في «خدعة الحوار بين الأديان» بل يمكن القول ان 95 % من الكتاب والباحثين والمعلقين السياسيين المختصين الذين ترجع إليهم وسائل الاعلام السمعي ـ البصري للتعليق على الأحداث العالمية، يتحدثون عن الاسلام كدين من الاديان، بمفهومه الغربي، دون تصور أو استشعار الطاقات الحية الكامنة في عمق أفراده وجماعاته وشعوبه المنتمية كلها لنفس «الامة الاسلامية ولحضارتها العالمية»، وهذا نقص كبير في رجال الدعوة والتبليغ والاعلام، منشؤه غيبة العلوم الاجتماعية.

رابعا: »الاسلام الحضاري» أول من أعلن قانونا لعلاقات المودة والتعاون وموجبات الصراع والحرب، بين الدول والشعوب.

رغم كل مظاهر التقدم العلمي والتقني الذي حققته الحضارة الغربية ـ التي لا تنكر فضل علماء المسلمين والجامعات العربية عليها ـ فإن هذا التقدم العلمي المادي، صاحبه سقوط مدمر للقيم الاخلاقية والانسانية لم يستطع «نظام الامم المتحدة» ـ بكل القوانين التي وضعها لحقوق الانسان والطفل والحريات العامة، ومجلس الامن الدولي ـ أن يحقق الامن والسلام والحرية لكل الشعوب والمجتمعات والاقليات المستضعفة على «قدم المساواة» مع الدول المستكبرة العظمى.

لهذا نرى من الواجب أن نذكر أنفسنا، وحتى الرأي العام الدولي، بأن الحضارة الاسلامية «تعتز وتفتخر اليوم ـ كما كانت في الماضي ـ بأنها أول من «أعلن قانونا سماويا» عرفته البشرية لتحقيق «المساواة بين الامم والشعوب قاطبة، في الخطاب القرآني الموجه للامة الاسلامية بقوله تعالى:

«لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم إن الله يحب المقسطين، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون» (الممتحنة 8ـ9).

فهل يشك أحد في العالم الاسلامي خاصة منهم العلماء والنخبة المثقفة السياسية، ان ما جاء في الآيتين الكريمتين ينطبق تماما على العدوان الصارخ الذي يقوم به الحلفاء الثلاثة إسرائيل وأمريكا وبريطانيا ضد فلسطين والعراق وأفغانستان، وما يجب على المسلمين أن يقوموا به لردع هذا العدوان، وإيقاف الظالمين؟

خامسا: «خدعة الحوار بين الاديان؟» والعقائد الثلاث المميزة للاسلام:

1ـ وحدة الربوبية 2ـ وحدة البشرية 3ـ وحدة الدين

فكرة (الحوار بين الاديان) خدعة سياسية استعملتها إسرائيل منذ نحو نصف قرن لتحقيق عدة أهداف :

1ـ إيهام الرأي العام العالمي بأن ما يجري في فلسطين هو مجرد خلاف تاريخي على الارض بين المسلمين واليهود، لذلك فإسرائيل الحريصة على السلام تهتم جدا بالحوار بين الاديان لتسوية هذا الخلاف، فضلا عن مفاوضاتها المستمرة مع الفلسطينيين، لتحقيق السلام ؟!

2ـ إفهام الرأي ـ ضمنيا ـ بأن الاديان السماوية الثلاثة هي كلها متساوية الشرعية– بدليل استمرار هذا الحوار بينها ـ فاليهود إذن لهم كامل الحق في إقامة دولتهم كالديانات الأخرى.

3ـ استمرار الاعلان عن «ندوات الحوار بين الاديان» من حين لآخر، في مختلف العواصم الغربية، يدعم سياسيا ونفسيا الهدفين السابقين، ويمنح إسرائيل مزيدا من الوقت لمواصلة عدوانها، بينما علماء المسلمين الذين يستمتعون بهذه الرحلات ـ يتحدثون لشعوبهم عن (جدوى الحوار مع أهل الكتاب بالتي هي أحسن؟) كمساهمة منهم يستغلونها للتنديد بما يسمونه الغلو أو التطرف الديني، باعتبار أنهم يتبنون «الوسطية» التي تلائم موقف حكوماتهم.

لكن هذه «الخدعة لا يمكن أن تنخدع بها الشعوب الاسلامية التي تؤمن بالعقائد الايمانية الثلاثة التي تتميز بها الحضارة الاسلامية عن أي دين وأية حضارة أخرى وهي :

1ـ وحدة الربوبية 2ـ وحدة البشرية 3ـ وحدة الدين

1ـ وحدة الربوبية:

نكتفي ببعض الآيات التي نص عليها القرآن الكريم في هذا الموضوع بما يلي :

«الله لا اله إلا هو الحي القيوم» (البقرة 255)

«لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم» (المائدة 72)

«لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد» (المائدة 73).

«وقالت اليهود عُزيزٌ ابن الله» (التوبة 30)

«وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه» (المائدة 18)

«وقالت اليهود ليست النصارى على شيء» (البقرة 113)

«وقالت اليهود يد الله مغلولة غُلت أيديهم» (المائدة 64)

وفي جواب الدكتور عبد الرحمان بدوي الفيلسوف العلماني لمجلة فرنسية في مصر عن رأيه في الحوار بين المسلمين والمسيحيين، بعد أن أكد أنه من المستحيل على المسلم أن يعتقد أن يسوع اله وابن اله، وأن الله ثالث ثلاثة الأب والابن والروح القدس، أضاف:

«إن شعار الكنيسة الكاثوليكية»: لا حقيقة توجد خارج الكنيسة، ولا نجاح خارج الكنيسة» قد أكده مجمع الفاتيكان في الاعلان الخاص بالحرية الدينية (مادة1)، وتساءل بدوي: كيف يمكن أن يكون بين هذه الكنيسة وبين أي ديانة أخرى أي تفاهم؟ وأضاف:

«لقد حضر علماء مسلمون جلسات حوار من هذا النوع في إسبانيا، انتهوا إلى أنها انتهت إلى جلسات للتبشير المسيحي بعد أن احتكر رجال الدين المسيحي الحديث من جانب واحد.. أي أنه حوار الصم من جانبهم، حيث أنهم لا يريدون سماع غير ما يقولونه».

2ـ وحدة البشرية:

نكتفي أيضا بقوله تعالى «يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء» (النساء 1).

وقوله تعالى: «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم» (الحجرات 13).

وقال عليه السلام في حجة الوداع : «يا أيها الناس.. إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي فضل على عجمي إلا بالتقوى»

3ـ وحدة الدين:

وحدة الربوبية، ووحدة البشرية تستلزمان وحدة الدين، ولم ترد في القرآن الكريم قط كلمة «أديان»، بدليل قوله تعالى:

«إن الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم» (آل عمران 19)

«ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين» (آل عمران 85) هناك إذن: تعدد الشرائع لا تعدد الاديان.

قال تعالى: «شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه» (الشورى 13)

الاسلام دين جميع الأنبياء والمرسلين:

قال تعالى: «ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين» (آل عمران 67). «ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين. إذ قال له ربه اسلم، قال أسلمت لرب العالمين. ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون» (البقرة 130ـ132)

إن ما يدعو للاستغراب والدهشة اليوم أن أغلبية العلماء ورجال الفكر والسياسة من سنة وشيعة، انساقوا جميعا في الكلام عن «الاديان السماوية»؟!، وكأنها «حقيقة سماوية» ربما تلطفا واسترضاء للاقليات المسيحية المتواجدة في مصر وسورية والعراق وفلسطين ولبنان، فالدين عند الله مفهوم أعظم مما يتصوره الناس، ولذلك سماه الله «دين الحق» و«الدين القيم» تعظيما له، بل وسمى به «يوم القيامة» الذي يحاسب فيه البشر جميعا على أعمالهم، في قوله تعالى : «مالك يوم الدين» (الفاتحة 4).

هذه خلاصة مواقف تصحيحية إسلامية، يرتبط بعضها ببعض، في عصر الفتن الذي دشنته أمريكا بحربها الارهابية على العالم الاسلامي، دون أن تدرك أنها بداية النهاية لسقوط إمبراطورية الطغيان والعدوان في العصر الحديث، وأن انتصار الاسلام في العراق وفلسطين وأفغانستان هو حتمية تاريخية حضارية قرآنية. لكن أن يقوم في العراق صراع طائفي، في مثل ظروف هذه الحرب المدمرة، هي إذن «مأساة عراقية» بل «فتنة ابتلائية» من الله، ولعل من حسن الحظ أن «شيعة العراق العربي» يختلفون عن «شيعة إيران الثورة الاسلامية»، بنفس القدر الذي اختلفت فيه حركة فتح العلمانية عن حركة حماس الاسلامية في فلسطين، وفي جميع الحالات، فإن المسلمين اليوم، أنظمة وشعوبا وأحزابا يخضعون لقانونين قرآنيين، مثلما خضعوا طيلة تاريخهم الاسلامي:

1ـ قانون الابتلاء: بقوله تعالى: «ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم» (محمد 31). «ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض» (محمد 4). «لتبلون في أموالكم وأنفسكم، ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم، ومن الذين أشركوا أذى كثيرا، وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الامور (آل عمران 186).

2ـ قانون الجهاد وشروط النصر: بقوله تعالى: «أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير. الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله» (الحج 39). «وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين. واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل» (البقرة 191). «إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم» (محمد 7). «ولينصرن الله من ينصره، إن الله لقوي عزيز» (الحج 40).

هذا وقد شهد العالم كله أول (شعلة وهاجة) لانتصار الاسلام الحتمي خلال مظاهرات الاحتجاج على الرسوم المسيئة للرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم، فقد اهتزت الارض تحت أقدام مئات الملايين من الأبطال الغيورين على هذه الامة في المشرق والمغرب، استعدادا للدفاع عن رسالة الاسلام الحضارية ضد قوى الشر والطغيان الامريكية، إذا استمرت في عدوانها الارهابي على العالم الاسلامي، «ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون» (إبراهيم 42) «وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون» (الشعراء 227).

* الأمين العام لنادي الفكر الاسلامي ـ المغرب

وقفة خاصة مع السيد عبد الحليم خدام

غسان المفلح*

■ دمشق في وجع ونحن لسنا حفاة ولا عراة، ودمشق هي من جعلت تاريخها يكتبه غيرها، دمشق ليست غبية ولا ساذجة دمشق: تخاف حتى من أهلها. دمشق في أحيائها تنوعها وفي تنوعها مشهد من المستقبل: يمكن أن يكون جميلا ويمكن أن يكون قبيحا.. وأنتم أيضا تعرفون هذا الأمر ككل سكان دمشق على اختلاف مواقعهم وثرواتهم وأحلامهم وطموحاتهم.. ولم يكن الخلاف على معرفة ماذا يجري في دمشق بل الخلاف كيف يمكننا إنقاذ دمشق..سألت صديقا عقلانيا وصادقا إلى حد بعيد:

ما الذي أحدثته مقابلة السيد خدام على قناة «العربية» من ردود فعل عند الشارع السوري؟

أجابني بشيء من الحسرة: إن الشعب السوري عموما ووفق رأي صديقي صدق كل ما قاله السيد خدام عن النظام السوري كما صدق كل ما قاله النظام السوري عن السيد خدام.. ولكنني عدت وسألته في جلسة خاصة جدا لماذا كانت الحسرة في صوتك وأنت تتحدث عن هذا الأمر؟

أجابني: ان ما يخيفه الآن أن حركة السيد خدام ووفقا للواقع السوري الذي أفرزته سلطة هو مشارك فيها حتى فترة قريبة..هو أن تأخذ حركة السيد خدام وجها طائفيا!! وهذا ما تحاول السلطة إشاعته بين الناس الآن وفق نفس الثقافة الشفهية التي شكلت عماد المنتج الثقافي السلطوي في تكريس الاحادية السلطوية الفاسدة والقمعية. كما أنه يخاف أن تعود الأمور بعد أن خلق لدى الشعب شيء من الأمل في التغيير إلى حالة مطبقة من اليأس وإغراق المواطن السوري أكثر في الفقر والحرمان والبحث عن لقمة عيشه بطريقة تجعله لا يفكر بأكثر من رغيف خبزه. الشعب السوري وصل إلى درجة أن: التغيير وعودة كرامته إليه وحريته وعيشه الكريم أمر من المستحيل التفكير فيه وبه عند المواطن السوري، وعودة الأمان إلى مستقبله ومستقبل بلده ومستقبل أحفاده. لقد سمعت من السيد خدام في مقابلاته تلميحا أنه عائد إلى سورية في خلال فترة قريبة ولن يسجل اسمه في قائمة المغتربين السوريين.

هذا وعد أم حلم أم انه لزوم العمل السياسي.. في كل الحالات عدم تحقق هذا الوعد يجعل من كلام صديقي صحيحا ويدخل المواطن السوري من جديد عتبة يأس آخر مطبق تماما.. والصراحة في الكثير من الأمور مدخل مهم لفهم الواقع وتغييره:

في شيء من النكتة / المأساة سألت السيد خدام في صراع البعث !! أو لنقل السلطة التي تغطي نفسها بالبعث مع الأخوان المسلمين عادت نتائجه كارثية على الشعب السوري خصوصا الطريقة التي فرضتها السلطة على هذا الصراع كي تعطيه وجها طائفيا وساعدها في ذلك بعض قادة حركة الأخوان المسلمين من خلال ممارساتهم وبعض أعمال العنف التي قاموا بها. ساعد السلطة في تكريس ما تريده في المجتمع من عصبيات متخلفة طائفيا وعشائريا..الخ لكي تبقى هي بيضة القبان القامع والسارق والمستبد. والآن هل في عودة تحالف ما بين البعث والأخوان يعيد إلى سورية وجهها المدني؟! في الحقيقة ما يشجع هو المراجعة العميقة التي يقوم بها قادة الجماعة سواء على المستوى الفردي من خلال كتاباتهم أو على المستوى الحزبي من خلال ما يصدر عن الجماعة من وثائق تمثل آراءهم بعد مراجعة تجربتهم ورؤيتهم لمستقبل مدني حقيقي لسورية، ومن خلال الأمل في قيام أوسع تحالف ديمقراطي حقيقي في سورية من خلال جبهة الخلاص الوطني.. كما أنني لمست لدى السيد خدام إحساسا بجديته في مراجعة تجربته في السلطة وعلى أرضية وعي ديمقراطي.. هذه المراجعة مع كل ما تتطلبه من جرأة في الوقوف مع الذات: هي المطلوبة أيضا لدى المواطن السوري بغض النظر عن الطريقة التي سوف تتم بها هذه المراجعة وأن تتم بمعزل عن تصريحات بعض قادة المعارضة التي تطالب السيد خدام بالاعتذار عن ماضيه وتتم بغرض هدفه إيصال هذه المراجعة للمواطن السوري .. وأنا هنا إذ أتحدث من موقع المراقب لهذا الأمر بالذات ويعنيني ربما أكثر من غيره من الأمور التي تجري..أود أن أؤكد على أن:

السيد عبد الحليم خدام ليس بحاجة للمعارضة من زاوية مادية كما أنه لا يريد في حال توليه السلطة مجددا أن يورث أحدا من أبنائه.. لأنهم خارج هذا السياق. إذن ما الذي دعاه للانضمام إلى المعارضة السورية وتشكيل نواة جدية وحقيقية يمكن لها أن تحمل مشروعا ديمقراطيا حقيقيا؟ أعتقد أن هذا السؤال: مطلوب الإجابة عليه مرارا وتكرارا، خصوصا أن هنالك قوى تتهم هذا التجمع الجديد بالاقصاء وتتهمه بكثير من التهم. وهنالك معارضة الداخل التقليدية رفضت هذا التحالف وتصر على استبعاد السيد خدام:

من شرف التحول إلى معارض سوري.. لماذا هذا الأصرار في الحقيقة انه إصرار ملفتا للنظر من قبل بعض رموز المعارضة. كما أن هنالك معارضة أخرى تتهم هذه الجبهة بالاقصاء كحزب الإصلاح في واشنطن وغيره من المعارضات في الخارج والداخل. وهنالك قوى أيضا كانت تريد إبلاغها بمؤتمر بروكسل وأن تشارك في الإعداد له لهذا سجلت تحفظاتها وملاحظاتها.

هنالك من أرسل لي وهو معارض سوري قديم موجود في فرنسا يقول:

(أرجو أولا أن يتسع صدر السيد عبد الحليم خدام لكثير من الأسئلة سوف توجه إليه ولن توجه إليه بقصد الإساءة بل بقصد التوضيح في تصريح قبل خمسة عشر عاما للسيد عبد الحليم خدام عندما سئل عن المعارضة السورية أجاب: انها معارضة الشانزيليزيه لماذا لا تعود إلى سورية إذا كانت معارضة جدية؟).

ويتابع المرسل.. نحن الآن ومنذ ذلك التاريخ نتحرك بحرية ولكن السيد عبد الحليم خدام يتحرك في الشانزيليزيه وفق حركة أمنية محسوبة جراء الخوف على حياته وهذا إنسانيا مؤلم له ولعائلته؟ لهذا طلب مني إذا تسنت لي فرصة أن أسأل السيد عبد الحليم خدام عن هذا الأمر وأرجو أن يجيبه السيد خدام في حال قرأ هذا النص.

لأن دمشق تنتظر الكثير الكثير من أجوبته.

* كاتب من سورية

«القدرية» في حياتنا اليومية

جواد البشيتي*

■ كم دَهَشَت الناس وحيَّرتهم ظاهرة "تعارض النتائج مع التوقعات"، فسعيهم، أكانوا أفرادا أم جماعات، من أجل تحقيق شيء ما، أو هدف ما، كان ينتهي في معظم الأحيان بنتائج فعلية تذهب بالتوقعات، أو بنتائج لم يتوقعونها قط، وكأن ثمة يد خفية تعمل دائما في اتجاه معاكس أو مضاد لمساعيهم وخططهم وأهدافهم. لقد وجد الناس، وحتى رجال الفكر منهم، مشقة ذهنية كبرى في تفسير هذه الظاهرة المحيرة والمثيرة للقلق والاضطراب في النفوس، فاعتقدوا بـ"القضاء والقدر" وبما يشبه هذا المفهوم في معناه كمثل "الحظ" و"البخت".

وكان ممكنا أن يُنْظَرَ إلى الأمر نظرة مختلفة ومغايرة، فالإنسان لا يمكنه في أثناء قيامه بعمل ما توصلا إلى هدف ما إلا أن يتفاعل ويتبادل التأثير مع غيره من البشر، فلا يحدث، بالتالي، إلا نادرا، أن يتمخض عمله عن النتيجة التي يريد. إن تفاعل وتضارب مساعي البشر، أكانوا أفرادا أم جماعات، يؤديان، حتما، إلى نتائج فعلية مخالفة ومضادة للتوقعات والخطط.

وفي هذه الطريقة فحسب يُصنع "التاريخ"، الذي طالما جرت رياحه بما لا تشتهي سفن البشر والدول والأحزاب، والذي بسبب خاصيته الجوهرية تلك استغلق على البشر فهم الطريقة التي فيها يَصْنَع أحداثه، فمالت الغالبية العظمى من علماء الاجتماع والتاريخ ومن الفلاسفة إلى إخراج "التاريخ" من عائلة "العلوم المضبوطة" كمثل علم الفيزياء.

يد القدر في صنع الأحداث في حياتنا اليومية تحولت مع مرور الوقت وتراكم التجارب الإنسانية من تفسير افتراضي لظاهرة "تعارض النتائج مع المساعي" إلى عقيدة تعتقد بها غالبية الناس، وخصوصا أولئك الذين لا يملكون إلا قدرا ضئيلا من السيطرة على أحوالهم الحياتية كمثل المزارعين والبحارة والصناع الذين ينتجون البضائع من أجل بيعها في سوق يجهلون ما تتعرض له من قوى تأثير. ومع ترسخ هذا الاعتقاد في عقول ونفوس البشر تضاءلت حتى تلاشت تقريبا ثقتهم بقوة وقدرة الإرادة الإنسانية، وأخذوا يتساءلون عما إذا كان الإنسان يملك فعلا "حرية الإرادة"، فنشأ، بالتالي، وتتطور مذهب "التسيير والتخيير".

وكان الفيلسوف الألماني نيتشه أول من اكتشف أن الشرقيين، بإيمانهم بالقضاء والقدر، قد نسوا أمرا بسيطا ولكن في منتهى الأهمية وهو أن إرادتهم "ذاتها" يجب أن تكون مشمولة بـ"نظام القضاء والقدر"، أي أن الإنسان المؤمن بالقضاء والقدر ينبغي له أن يؤمن، في الوقت نفسه، بأنه لا يريد إلا ما قُدِّرَ له أن يريد، فأنا لم أختر الذهاب إلى بيتي عبر هذه الطريق، بحسب ما "أتوهم"، وإنما كان مقدَّرًا لي أن أذهب في هذه الطريق وأن ألعب "لعبة الاختيار" بما يتفق وهذا القدر.

إن الحاضر في حياة الإنسان هو لحظة الفعل الذي من دونه لا يُصنَع المستقبل. والإنسان، في مشاعره، يرتبط بماضيه ارتباطا مختلفا عن ارتباطه بمستقبله، فهو قد يندم على الماضي، ولكنه لا يخاف منه، وقد يخاف من المستقبل، ولكنه لا يندم عليه. وكثيرا ما قال الإنسان إنه، إذا ما رجع به الزمن شهرا أو سنة أو سنين، لن يفعل هذا الذي فعل، وسيفعل ما لم يفعل، وكأن هذه "الحكمة" التي تلبَّسته الآن يمكن أن تنشأ لو أن الأحداث التي يندم على حدوثها لم تحدث!

* كاتب ومحلل سياسي فلسطيني ـ الاردن

حماس واشكالية الاعتراف باسرائيل

د. محمد علي السقاف*

■ يثير موقفا الادارة الامريكية والاتحاد الاوروبي من وصول حركة «حماس» الى سدة السلطة الفلسطينية عبر الانتخابات التشريعية عدة تساؤلات حول حقيقة وجدية مشروعهما في نشر الديمقراطية في الشرق الاوسط الكبير وفي العالم العربي خاصة. فلم تكد تظهر النتائج الاولية للانتخابات التشريعية فوزا ساحقا لحركة «حماس» حتى بدأت تمارس الضغوط على الحركة بضرورة اعلان اعترافها بدولة اسرائيل وقبولها بالاتفاقات الموقعة مع السلطة الفلسطينية ونبذ العنف. هذه الشروط الثلاثة للادارة الامريكية والاتحاد الاوروبي التي تنطبق مع الشروط الاسرائيلية تثير عدة تساؤلات عن اسباب عدم طرح الشروط نفسها على حركة فتح غداة فوزها المزدوج بمنصب رئيس السلطة الفلسطينية وتحقيقها اغلبية مريحة في انتخابات المجلس التشريعي الاول اللذين تزامن اجراؤهما في 20 كانون الثاني (يناير) 1996؟ قد يرى البعض في الاجابة على هذا التساؤل كون حركة فتح المكون الرئيسي لمنظمة التحرير الفلسطينية التي وقعت اتفاق «اوسلو» في واشنطن بتاريخ 1993/9/13 ولان عرفات الذي فاز برئاسة السلطة هو في الوقت نفسه رئيس لحركة فتح ومنظمة التحرير الفلسطينية ولذلك من الطبيعي ان توضع تلك الشروط على «حماس» لانها ليست عضوا في منظمة التحرير الفلسطينية الموقعة على «اتفاق اوسلو» وبقية الاتفاقات اللاحقة.

اذا قبل المرء بهذا المنطق فيسعني ذلك ان حزب «الليكود» الذي لم يكن طرفا في اتفاق اوسلو كان على الولايات المتحدة والاتحاد الاوروبي مطالبته ايضا بالاعتراف بالسلطة الفلسطينية بعد توليه السلطة خلفا لحزب العمال الاسرائيلي مثلما هو مطلوب الان من حركة «حماس». هذا بالنسبة للتداعيات الدولية لفوز حماس المفاجئ في الانتخابات. اما على الصعيد الفلسطيني هناك تساؤل يفرض نفسه حول اسباب مشاركة حماس في الانتخابات التشريعية الثانية في كانون الثاني (يناير) 2006 وامتناعها عن المشاركة في انتخابات كانون الثاني (يناير) 1996؟ ولماذا حصرت مشاركتها في الانتخابات التشريعية الاخيرة ولم تتقدم بترشيح منافس لمحمود عباس مرشح حركة فتح للانتخابات الرئاسية لنصب رئيس السلطة الفلسطينية في كانون الثاني (يناير) 2005؟

مفاجأة فوز حماس الساحق في الانتخابات ضاعفت من حجم هذه المفاجأة الشروط الثلاثة التي وضعتها الادارة الامريكية والاتحاد الاوروبي لمواصلة الدعم المالي للسلطة بأن تعترف حماس باسرائيل، وبالاتفاقات السابقة واعلان نبذها للعنف. هذه الشروط الثلاثة التي يراد بها وضع حماس والسلطة الفلسطينية في مأزق تعبر في الحقيقة كما قال خالد مشعل رئيس الدائرة السياسية للحركة عن مأزق الاطراف الامريكية والاوروبية نفسها.

فمشاركة حماس في الانتخابات التشريعية لعام 2006 مقارنة بمقاطعتها للانتخابات التشريعية الاولى لعام 1996 تمثل افضل اجابة قاطعة لمطلب اعلان اعترافها بالاتفاقات السابقة.

فموقف حماس الرسمي سابقا تمثل دوما في رفض الحركة المشاركة في انتخابات تفرزها اتفاقات التسوية من مؤتمر مدريد حتى اتفاقات اوسلو والقاهرة. فموضوع الانتخابات كان واحدا من البنود الاساسية في اتفاق اوسلو (المادة 3) وافرد لها ملحقا بذاته (الملحق الاول) من بين الملحقات الاربعة للاتفاق. وعموما يمكن القول على صعيد النصوص ان الاتفاقات الفلسطينية ـ الاسرائيلية المتوالية «هي المنشئ الاصل للمجلس النيابي وهي التي حددت اسمه، تكوينه واهدافه وحدود ولايته الجغرافية والقانونية وصلاحياته، ومدة ولايته وانتخاب اعضائه عبر الاقتراع المباشر وتحت الرقابة الدولية». من هنا كان موقف حماس الرافض للمشاركة في انتخابات تستمد شرعيتها من اتفاقات التسوية الفلسطينية ـ الاسرائيلية. وبرغم هذا الموقف الرسمي القاطع في ظاهره رأت مع ذلك بعض رموز الحركة ضرورة مشاركتها في انتخابات 1996 ورشحوا انفسهم فعلا للانتخابات بصفة مستقلين لكنهم اضطروا بعد ذلك الى سحب ترشيحاتهم بفعل ضغوطات الحركة عليهم كي لا تؤدي مشاركتهم الى اضعاف الموقف الرسمي للحركة.

والملفت للنظر بهذا الخصوص ان السيد اسماعيل هنية رئيس الوزراء المكلف حاليا بتشكيل الحكومة الفلسطينية المقبلة كان واحدا من الشخصيات التي سعت للترشيح بصفة مستقلة في انتخابات 1996، ثم سحب ترشيحه بضغط من الحركة. الم تهدف حماس بتكليفه تشكيل الحكومة المقبلة اعطاء اشارة ضمن اشارات اخرى عن «واقعية» السياسة الجديدة لحماس.

وقد تجسدت هذه الواقعية بشكل واضح بقرار حماس المشاركة في انتخابات 2006، مما يعتبر اعترافا منها ليس باتفاق اوسلو فحسب بل ايضا بخريطة الطريق التي استحدثت منصب رئيس الوزراء بصلاحيات مما استوجب تعديل القانون الأساسي للسلطة الذي هو بمثابة «الدستور المؤ